ملامح من الحياة الفكرية في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

د. مشهور الحبازي*

* جامعة القدس / كلية الآداب

ملخص

تناولت هذه الدراسة موضوعا جديدا من المواضيع الثقافية في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وهو ملامح من الحياة الفكرية في القدس . وقد درست الموضوع ضمن تسعة عناوين؛ العمران والتعليم، والتصوف، وهجرة العلماء إلى القدس، والحرص على الدفن في القدس، والقدس في أدب الرحلات، وفي أدب الفضائل، ومدح الشعراء للقدس، وعلاقة المسلمين فيها بأهل الذمة. بحيث غطت هذه العناوين الجوانب المهمة من الحياة الفكرية في القدس، وبالتالي دلت على استمرار مكانة القدس الدينية والدنيوية في هذا العصر وتميزها في جوانب لاءمت العصر العثماني بكل ما فيه من خصوصيات. وأكدت على الدور الذي لعبته المدينة في حياة المجتمع المحلي والإسلامي في جوانب عديدة.

Abstract

This study is about a new cultural subject related to Al-Quds in the tenth century of Hijra / sixteenth century A.D. which is a feature of the intellectual life in Jerusalem.

The subject has been studied under nine headings: construction, education, sufism, migration of scientists to Al-Quds, keenness on burning deaths, literary travel, literature of virtues, poets, praise to Al-Quds, and the relations of Moslems with free non-Moslems.

These fields have covered the important aspects of the intellectual life in Al-Quds religious, earthly role in this era and its relevance to the Turkish era with all its specialties that were played by the city in the local and Islamic social life in different phases.

ملامح من الحياة الفكرية في القدس في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي

المقدمة

الحياة الفكرية في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، موضوع مهم، إلا أنه مثل كثير من قضايا الأدب والثقافة العربية الإسلامية في العصر العثماني، لم يلق الاهتمام اللازم من الدارسين المحدثين.

وعلى الرغم من أن الحياة الفكرية والثقافية في القدس في العصرين الأيوبي والمملوكي كتبت فيها دراسات كثيرة من عديد من الباحثين، فإن الفترة العثمانية ـ على ما توصلت إليه ـ لم تدرس دراسة مستقلة، وإن درست فإن الدراسات كانت مختصرة وغير وافية، كما جاء في دراسات عارف العارف حيث كان الحديث عن القرن العاشر غير موف بالغرض، أما دراسات الدكتور كامل العسلي التي تناولت القدس في جوانب عديدة فقد جاءت معلوماتها عن هذه الفترة مختصرة ومشتتة لا تمكّن من تكوين صورة واضحة عنها.

من هنا وجدت أن من المهم دراسة هذا الموضوع الجديد، لأنه يسهم في إيجاد استمرار تاريخي للدراسات السابقة، وبالتالي يسهم في إبراز مكانة المدينة المقدسة ودورها حتى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

وقد اعتمدت في الدراسة المنهج التكاملي مع الاهتمام بالمنهج التاريخي، ووظفت مناهج متعددة لخدمة محاور الدراسة التسعة.

تمهيد

دأب الحكام المسلمون في العصور المختلفة على الاهتمام بمدينة القدس في المجالات كلها، لما تتمتع به من قدسية دينية استمدتها من كثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة[١]، ومن ارتباطها الروحي العميق بمكة المكرمة والمدينة المنورة في غير حادثة، ومن كثير من الروايات التاريخية المتعاقبة حول أهميتها لدى الأمم السابقة[٢]. وقد أثبت ذلك

الارتباط القرآن الكريم في سورة الإسراء التي تبدأ بقوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله [٣]. فقد قيل في تفسير هذه الآية الكريمة أنه لو لم يكن للمسجد الأقصى فضيلة إلا هذه الآية العظيمة لكانت كافية، فالله تعالى بيّن فيها فضل الأقصى وجمع له فضل البيتين وشرفهما[٤]. وفي هذه الآية حديث عن مكانة المسجد الأقصى والأرض المحيطة به، والتي ذهب بعض المفسرين في تفسيرها مذاهب عديدة وصل بعضهم بها إلى حد جعل فيه بلاد الشام كلها أرضاً مباركة[٥]. كما أنه ربط عمليا بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في حادثة الإسراء والمعراج الفريدة والعظيمة، وفي هذه الحادثة أيضاً ربط عملي بين المسجد الأقصى والسماء حيث سدرة المنتهى. وفي الحديث الشريف ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين ثلاثة مساجد مهمة في ديار الإسلام لا تشد الرحال إلاّ لها، وهي: المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى المبارك. ومن هنا فإن زيارة المسجد الأقصى المبارك والقدس الشريف وما فيها من أماكن مقدسة وأضرحة أنبياء وصحابة وتابعين وعلماء صالحين اعتبرت عملا مندوبا لكل من يحج من المسلمين، وعرفت على مدى التاريخ في فلسطين باسم " تقديس الحجة "، فالحاج إلى الديار الحجازية لا يكتمل حجه إلا بزيارة القدس الشريف. كما أن كثيرين من أهل الشام كانوا يبدأون حجهم أو عمرتهم من بيت المقدس تطبيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: " من أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة ". [٦]

وقد ذكر في غير موضع في كتب التراجم التي وضعت في العصر العثماني الأول وتناولت تراجم أعيان القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وعلمائه مثل: تراجم الأعيان للبوريني ت ١٠٢٤/ ١٦٥١، والكواكب السائرة، ولطف السمر لنجم الدين الغزي ت١٠٦١/ ١٦٥١، وريحانة الألباب لشهاب الدين الخفاجي ت١٠٦٩/ ١٦٥٨، وخلاصة الأثر لمحمد أمين المحبي ت ١١١١/ ١٦٩٩ وغيرها ـ أن من كان يحج كان يزور بيت المقدس، ومن ذلك ما ورد في ترجمة أحمد بن عبد الله المعروف بنوري أفندي ت ٩٧٨/ ١٥٧٠، وكان مفتيا للحنفية في دمشق، من أنه ذهب مع قاضي قضاة دمشق محمد أفندي جوي زاده بأمر سلطاني للتفتيش على كنيسة في القدس في السنة التي توفي فيها، وبعد أن أتمّا مهمتهما توجها إلى قضاء ما هو مندوب إليه من الزيارة[٧]. كما ورد في ترجمة مسلم بن محمد الصمادي القادري ت١٠١٥/ ١٦٠٦ أنه سافر في أواخر أعوامه لزيارة بيت المقدس[٨]. وما

ورد في ترجمة عبد الرحيم بن محمود الأسطواني ت ١٠٢٢/ ١٦١٤، وكان رئيس المؤذنين في الجامع الأموي بدمشق، من أنه سافر وجماعة من أهل الشام إلى الحج وزيارة بيت المقدس(٩). وكان الصوفية يذهبون في سيّارة (مواكب أصحاب الطرق الصوفية ومؤيديهم ومريديهم التي تذهب لزيارة الأضرحة المعروفة في المدن الشامية) لزيارة بيت المقدس(١٠).

وفي هذا البحث تحدثت عن بعض ملامح الحياة الفكرية في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، أي عن الثمانين سنة الأولى من خضوع القدس لسلطة الدولة العثمانية، والتي تمثل الفترة الذهبية من عمر الدولة العثمانية فكريا وحضارياً، إذ بيّنت مكانة القدس لدى العثمانيين، وأهم ما فعلوه فيها، ومكانة القدس لدى الشعوب الإسلامية في الفترة نفسها، مع الإشارة إلى العلاقة بين المسلمين حكام البلاد وسادتها وبين أهل الذمة.

مظاهر اهتمام العثمانيين بالقدس

بدأ اهتمام العثمانيين ببيت المقدس مبكراً، وتحديداً قبل ٩١ عاما من فتحهم لها، إذ أن السلطان مراد بن محمد رتب سنة ٨٣٣/ ١٤٢٩ قرّاءً يقرأون له القرآن الكريم في مسجد قبة الصخرة المشرفة، وكذلك فعل السلطان إبراهيم بن محمد بن قرمان سنة ٨٥٨/ ١٤٥٤.

وفي ٤ ذي الحجة ٩٢٢/ ٢٨ كانون الأول ١٥٦١ فتح العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول القدس، فافتخر العثمانيون بذلك كونها أول مدينة مقدسة تدخل تحت سلطانهم، وتطلّعوا إلى مكة والمدينة ليصبحوا المدافعين عن مقدسات المسلمين، ورعاتها.

وقد منح العثمانيون القدس احتراما خاصاً عندما فتحوها، وترجموا هذا الاحترام على أرض الواقع منذ بداية فتحهم للمدينة، من خلال زيارات سلاطينهم لها، ومن خلال تقسيماتهم الإداريّة لبلاد الشام، والموقع الذي احتلته القدس في تلك التقسيمات، ومن خلال المنشآت التي أقاموها في القدس، ويمكن إظهار اهتمام العثمانيين بالقدس من خلال الآتي:

١- بعد يومين من دخول الجيوش العثمانية ـ سلماً ـ مدينة القدس، أي في ٦ ذي القعدة سنة ٩٢٢/ ٣٠ كانون الأول ١٥١٦ زارها السلطان العثماني سليم الأول، فرحّب به أهلها وتوجه إلى الحرم القدسي الشريف حيث سجد سجود الشكر لله وقال: " الحمد لله فأنا اليوم حامي القبلة الأولى "(١١). ثم صلّى في المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة. وزار قبور الصحابة والتابعين والصالحين، ثم استقبل وجهاء المدينة وأعيانها وعلماءها في الحرم القدسي، فرحبوا به، وأوْلَموا له، فأقرّهم على وظائفهم وأهداهم

الهدايا، وأعفاهم من الضرائب، وفي مقابل ذلك تسلّم منهم مفاتيح المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة [١٢].

٢- بعد أن عاد السلطان سليم الأول من فتح مصر والشام إلى عاصمة ملكه استانبول قسّم بلاد الشام إلى ثماني ولايات كان من بينها ولاية القدس، وذلك دليل على الأهمية التي أعطاها للمدينة، وفي سنة ٩٢٦/ ١٥٢٠ أجرى ابنه السلطان سليمان القانوني تغييراً على التقسيم الإداري لبلاد الشام، إذ قسّمها إلى ثلاث ولايات لم تكن القدس منها، لكنّه جعلها سنجقا (لواء) تابعاً لأهم ولايات الشام، وهي ولاية دمشق، وكان حاكمها يلقب بلقب بكلر بك [١٣].

٣- أن السلاطين العثمانيين وحكامهم حذوا حذو سلاطين المماليك وحكامهم في وضع المصاحف الشريفة في المسجد الأقصى المبارك، ووقف الأوقاف على قراء يتولون قراءتها. وذلك أسهم في زيادة حلقات العلم فيه واستمرارها[١٤].

٤- أن السلطان سليمان القانوني اتخذ لنفسه لقباً ربطه بالمدن الإسلامية الثالثة المقدسة، وهو " ملك مكة والمدينة والقدس " [١٥].

٥- قام العثمانيون في عهد السلطان سليمان القانوني، وبتوجيه مباشر منه بأعمال تعمير وبناء واسع في القدس، ومنها:

أ. بناء سور القدس الحالي ما بين ٩٤٣/ ١٥٣٦-٩٤٧/ ١٥٤٠، وذلك أن السور كان قد هدم أيام الملك المعظم عيسى الأيوبي سنة ٦١٦/ ١٢١٩ في الحروب الصليبية خوفاً من استيلاء الإفرنج على القدس والتحصن وراءه، وعندما عقد الملك الكامل بن الملك العادل الأيوبي هدنة مع إمبراطور ألمانيا فردريك، وتنازل له عن القدس سنة ٦٢٦/ ١٢٢٨، اشترط عليه عدم تعمير السور، وهذا العمل من السلطان سليمان القانوني كان لحماية المدينة وتحصينها من هجمات البدو والعربان المحيطين بها، وخوفاً من تعرضها لهجمات من الأعداء. ومحيط السور يبلغ ٤كم، ومتوسط ارتفاعه ١٢م، وعليه ٣٤برجاً، وله سبعة أبواب مفتوحة[١٦].

ب. تجديد شامل لقبة الصخرة المشرفة من خلال إبدال الفسيفساء على جدر القبة بالقاشاني الجديد في المثمن الخارجي للقبة ما بين ٩٥٧/ ١٥٥٠-٩٦٩/ ١٥٦١، وتركيب الرخام الذي يكسو الجدر الخارجية من الأسفل، وتجديد زجاج شبابيك الصخرة سنة ٩٤٥/ ١٥٣٨[١٧]. كما جددت ثلاثة أبواب للقبة وتصفيحها بقطع نحاسية جلبت من

استانبول عاصمة الدولة العثمانية، وذلك في الفترة ما بين ٩٧١/ ١٥٦٣-٩٧٢/ ١٥٦٤ . وفي معرض الحديث عن أعمال السلطان سليمان القانوني قال العاصمي: " ومنها بالمسجد الأقصى خيرات لا تحصى. . . ومنها عمارة قبة عظيمة على الصخرة الرفيعة الدرجات وجعل عوض التجصيص ألواحاً من فخار ازنيق بأنواع النقوش وأجلّ الكتابات ومنها للمساجد الثلاثة المشرفة (الحرام والنبوي والأقصى) المذكورة قدر الكفاية من الحبوب والمرتبات والخبز والطعام والصلة المبرورة "[١٨].

ج. ترميم قلعة القدس وتعميرها (قرب باب الخليل) سنة ٩٣٨/ ١٥٣١، بحيث أصبحت تضم غرفاً للدزدار (أمين القلعة) ونائبه والإمام، والواعظ، والمؤذن الذين كانوا يعملون في مسجد القلعة، وحوالي سبعين غرفة لإيواء الجنود العثمانيين في المدينة[١٩].

د. أعطى أهمية كبيرة لتزويد المدينة بالماء سنة ٩٤٣/ ١٥٣٦، فخصص مبالغ مالية كبيرة لبناء منشآت مائية وإصلاحها وصيانتها مثل: القنوات والبرك والأسبلة والحمامات. فعمِّرت قناة السبيل التي كانت تزود القدس بالماء من البرك الواقعة بين بيت لحم والخليل، والتي تنسب إلى السلطان سليمان نفسه. كما رمّم بركة السلطان خارج باب الخليل وبنى بجوارها سبيلاً. وبنى خمسة أسبلة داخل السور (السلسلة والواد وباب الناظر وستنا مريم وسليمان). وللمحافظة على قناة السبيل عامرة أوقف عليها عدة قرى في الخليل[٢٠].

هـ. أقيمت في الحرم القدسي مصطبة سبيل السلطان سليمان القانوني مقابل الباب العتم[٢١].

وقامت زوجة السلطان سليمان خاصكي سلطان، الروسية الأصل والتي كانت تدعى روكسيلانة أو خرّم، سنة ٩٥٩/ ١٥٥١ ببناء تكية كبيرة عرفت باسم تكية خاصكي سلطان، ضمّت رباطا ومسجداً وخاناً ومطبخاً. وكانت هذه التكية بمثابة مؤسسة خيرية لخدمة سكان المدينة والوافدين إليها، حيث كانت تقدم الطعام للصوفية والمساكين وعامة الناس الفقراء. وقد أوقفت على التكية أوقافاً كثيرة في عدة قرى ومزارع توزعت على خمسة سناجق هي: القدس ونابلس وغزة وصفد وصيدا، وبالرغم من أن إنتاج هذه الأوقاف كان يفيض عن حاجة التكية، إلا أن السلطان سليمان نفسه بعد وفاة زوجته أوقف عليها أوقاف أربع قرى ومزارع في منطقة صيداً ليضمن استمرار عملها[٢٢].

ز . أنشأت خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٣/ ١٥٥٥ حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء في حارة الغوانمة، وأوقفتهما على عمارتها (تكيتها) سنة ٩٦٤/ ١٥٥٦ [٢٣].

ح . كان السلطان أحمد بن محمد بن مراد المتوفى سنة ١٠٢٦/ ١٦١٧، مدة حياته لا يفتر عن عمارة المساجد وفعل الخيرات، ومن المساجد التي اهتم بها المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة. قال المحبّي في ترجمته له: " وبعث إلى بيت المقدس من فضة مطلية بالذهب لتوضع على القدم الشريف بالصخرة، وهي إلى الآن موجودة (عصر المحبي المتوفى ١١١١/ ١٦٩٩)" [٢٤].

٦- أن العثمانيين في عهد السلطان سليمان القانوني وما بعده استمروا في الاهتمام بمدينة القدس وتعميرها وتطويرها في نواحي الحياة كلها، ومن مظاهر ذلك الاهتمام:

أولاً – في مجال العمران

اهتم العثمانيون ببناء المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والأربطة والخانات وغيرها من مظاهر العمران، أو ترميم ما هو قائم منها وتعميره، ومن أهم ما قاموا به في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي:

١ . بناء الطابق الثالث في رباط الكرد (دار الشهابي اليوم) لتوفير أماكن إقامة للفقراء، وزوار المدينة، علماً بأن الرباط كان قد بناه الأمير المملوكي سيف الدين الكرد سنة ٦٩٣/ ١٢٩٢[٢٥].

٢ . أنشأ يحيى بن أبي شريف أوائل العهد العثماني مكتبا مكونا من غرفة واحدة قرب باب السلسلة وخصصه لتأديب الأطفال وتعليمهم[٢٦].

٣ . أنشأ نائب قلعة القدس في أوائل العهد العثماني المسجد القيمري، الكائن حالياً قرب الباب الجديد، ووقف عليه عقارات كثيرة، كما أوقفت امرأة صالحة تدعى قمرة بنت عبد الله التركية عليه عقاراً كانت تملكه[٢٧].

٤ . أنشأ والي القدس العثماني قاسم باشا سنة ٩٣٣/ ١٥٢٧ سبيلا عرف باسم سبيل قاسم باشا، غربي قبة الصخرة المشرفة، ومقابل المدرسة الأشرفية السلطانية[٢٨].

٥ . أنشأ الأمير حاجي بك سنة ٩٣٤/ ١٥٢٨ زاوية علاء الدين علي الخلوتي وذلك عند رأس درج المولى[٢٩]. كما أنشأ الشيخ علاء الدين علي الخلوتي مسجد المئذنة الحمراء جوار زاويته في حارة بني زيد[٣٠].

٦ . تم إنشاء محراب قبة النبي شمالي غربي قبة الصخرة المشرفة سنة ٩٤٥/ ١٥٣٩[٣١] .

٧ . أنشأ خداوردي بك سنة ٩٩٥/ ١٥٨٦ الخانقاه المولوية في حارة السعدية . وقد كان إنشاؤها لخدمة اتباع هذه الطريقة التي كانت تدعمها الدولة العثمانية ، وكان شيخ الخانقاه يعيَّن من الشيخ الأعلى للطريقة المولوية في قونية ، وقد أوقفت عليها الدولة أوقافاً كثيرة[٣٢] .

٨ . أنشأ محمد آغا سنة ٩٩٦/ ١٥٨٧ خلوة خداوردي بك أبو سيفين[٣٣] .

٩ . أما في مجال الترميم فقد رمِّمت في عهد العثمانيين عديد من العمائر ، ومنها : خان القطانين ، رممّه الحاج قاسم بن أحمد الصعبي سنة ٩٤٤/ ٤٥٣٧[٣٤] . وخان الجاولي ورممّه الشيخ محمد بن الشيخ علي الخلوتي سنة ٩٤٥/ ١٥٣٨[٣٥] ، والزاوية اللؤلؤية سنة ٩٥٢/ ١٥٤٥[٣٦] ، والزاوية الرفاعيّة رمّمها وأعاد بناءها الشيخ بابا فريد شكر كنج شيخ طائفة الهنود سنة ٩٦٣/ ١٥٥٥ ، ورجح الدكتور كامل العسلي أنها أنشئت في العهد العثماني سنة ٩٥٠/ ١٥٤٣ تحت مئذنة باب الغوانمة[٣٧] . والمدرسة المحدِّثية رمّمها محمد بن الشيخ علي الخلوتي سنة ٩٤٠/ ١٥٣٣[٣٨] ، والمدرسة السلاميّة رمِّمت سنة ٩٤١/ ١٥٣٤[٣٩] ، والمدرسة الماورديّة رمّمت سنة ٩٤٥/ ١٥٣٨[٤٠] ، والمدرسة الطازيّة رمّمت سنة ٩٥٢/ ١٥٤٥[٤١] ، والمدرسة الأمينيّة رمّمها الشيخ محي الدين أفندي بن عبد القادري سنة ٩٨٣/ ١٥٣٥[٤٢] .

ثانياً – في مجال التعليم

استمر كثير من المدارس في تأدية الدور العلمي الذي كانت تقوم به منذ عهد الأيوبيين ومروراً بعهد المماليك ، ثم وقفت أوقاف عديدة على تلك المدارس لتمكينها من الاستمرار في تأدية رسالتها العلمية وتعزيز تلك الرسالة وتطويرها كما رُمّم عديد من المدارس التي احتاجت للترميم .

وكان يوجد في كل مدرسة عدد من الموظفين يقومون بالأعمال الموكلة إليهم حسب نظام التعليم في ذلك الوقت ، وقد تراوح عدد هؤلاء ما بين ١٣-١٩ موظفاً ، وأهم الوظائف التي وجدت في المدرسة الطازيّة مثلاً هي : المدّرس ، والناظر ، والمتولي ، وشيخ المدرسة ، والمعيد ، والإمام ، والشاهد ، والفقيه ، والكاتب أو البواب ، والفرّاش ، والجابي والمقيم ، كما كان فيها ٢٥ من قراء الأجزاء[٤٣] . فيما ضمت المدرسة الجوهرية إحدى عشرة وظيفة وهي : النظارة ، والمشيخة ، ومشيخة التلقين ، والشهادة ، ومؤدب الأطفال ، والكتابة ، والشادية ، والفراشة ،

والسقاية، والشغالة وتفرقة الأجزاء (أمانة المكتبة)، وتفرقة الخبز. كما كان فيها ٢٤ من قراء الأجزاء[٤٤]. أما المدرسة الغادريّة فكان العاملون فيها سنة ٩٨١و٩٨٢/ ١٥٧٣و١٥٧٤هم الشيخ، والمدرس، والإمام، والبواب، والجابي، وستة عشر قارئا من قراء الأجزاء الشريفة[٤٥].

ويظهر من خلال متابعتي لما كان يتم في تلك المدارس، أن بعضها كان يضم مكتباً خاصاً لتعليم الأطفال، وكان له مدير يبدو أن عمله كان مستقلاً عن عمل إدارة المدرسة، فقد ورد أن المدرسة الطازيّة كانت تضم مكتباً للأيتام ضم عشرة أيتام، وتولى إدارته ما سمي بفقيه الأيتام[٤٦]. وأضيف إلى المدرسة التنكزيّة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي مكتب لتعليم الأيتام[٤٧]، كما خصص بايرام جاويش بن مصطفى ناظر أعمال بناء سور القدس من قبل السلطان سليمان القانوني جزءاً من الرباط الذي أنشأه عام ٩٤٧/ ١٥٤٠ ليكون مكتبا مجانيا لتعليم الأولاد والذي عرف فيما بعد باسم المدرسة الرصاصيّة[٤٨].

وكان تعيين المدرسين ومشايخ المدارس في العهد العثماني من خلال طريقتين هما: أخذ براءة من السلطان العثماني في استانبول كما حصل للشيخ سراج الدين عمر بن أبي اللطف في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي[٤٩]. والثانية أن حاكم القدس الشرعي كان يوصي بتعيين المدرس أو الشيخ ثم بعد ذلك يحصل على براءة تسلم عمله من السلطان العثماني. كما حصل مع الشيخ موسى بن كمال الدين عندما تولى التدريس في المدرسة المنجكية بعد وفاة والده الذي كان شيخها[٥٠].

وقد وجد في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي عديد من المدارس التي كانت عامرة وتولى التدريس فيها عدد من علماء ذلك القرن ومن أهم تلك المدارس:

١- المدرسة الصلاحيّة

أدت رسالتها مدرسة للشافعية من الفتح الصلاحي حتى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، ودرّس فيها عدد من العلماء في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ومنهم عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن جماعة المقدسي المتوفى سنة ٩٢٤/ ١٥١٨[٥١]. وعلي بن محمد بن أبي اللطف الحصكفي المتوفى ٩٣٤/ ١٥٢٧[٥٢] وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن جماعة المتوفى ٩٤٨/ ١٥٤١[٥٣]. وعفيف الدين بن جماعة الكناني المتوفى سنة ٩٧١/ ١٥٦٣[٥٤].

٢- المدرسة الختنيّة

كان بها زاوية، وقد أدت رسالتها من الفتح الصلاحي إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وأوقف عليها دارا في باب القطّانين (٥٥).

٣- مدرسة القبة النحويّة

استمر التعليم فيها في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي(٥٦).

٤- المدرسة الفخريّة

استمرت منذ الثلث الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حيث أوقف عليها سبع قطع أراض بظاهر القدس، وسوقا وحاكورة وأحكار حجرات سنة ٩٠٣/ ١٤٩٧، وقد تولى نظارتها بأمر من السلطان العثماني سنة ٩٣٧/ ١٥٣٠ الشيخ بهاء الدين بن حامد وكانت مدة التولية طوال حياته. وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ عين الشيخ محمود الديري قارئا بها بعد أن فرغ له عنها والده. وفي سنة ٩٨٤/ ١٥٧٦ تفرّغ الشيخ عبد الباسط الإسعردي عن تولية وقفها للشيخ أبي السعود بن داود(٥٧).

٥- المدرسة التنكزيّة

واصلت دورها التعليمي منذ إنشائها ٧٢٩/ ١٣٢٨ حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حيث أضيف لها مكتب لتعليم الأطفال والأيتام، وفي ٩٥٢/ ١٥٤٥ أوقف القاضي أحمد جلبي على المكتب ورباط المدرسة أربعة دكاكين في باب السلسلة، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ أقرأ فيها الشيخ محمود بن أحمد الديري. وفي سنة ٩٨١/ ١٥٧٣ عمّرت ورمِّمت وعمل لها أبواب خشبية جديدة(٥٨).

٦- المدرسة الطازيّة

استمرت في العمل في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وكان بها مكتب لتعليم الأيتام، واوقف عليها قرية المنية لواء صفد وجامع الجوكندار. ودرّس فيها سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ الشيخ محمود بن أحمد الديري(٥٩).

٧- دار الحديث

تولى التدريس فيها في نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي جمال الدين بن شمس الدين محمد العجمي المقدسي المتوفى ١٠٠١/ ١٥٩٢ وعمّرها عندما تهدمت(٦٠).

٨- المدرسة الأشرفيّة

أصيبت بزلزال سنة ٩٠٢/ ١٤٩٦، وأعيد بناؤها في القرن العاشر الهجري/ السادس

عشر الميلادي، حيث واصلت تأدية رسالتها العلميّة. ودرّس فيها الشيخ أحمد الديري وفي ٩٧١/ ١٥٦٣ فرغ عنها لابنه محمود [٦١].

٩- المدرسة العثمانيّة

من أهم المدارس للمذهب الحنفي، أنشئت سنة ٨٤٠/ ١٤٣٦ وفي القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي درّس فيها عدد من العلماء، ومنهم شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن أبي اللطف، وفي سنة ٩٩٠/ ١٥٨٢ تفرّغ عنها مناصفة للشيخ اسحق زيد فضله وللشيخ طه بن أحمد بن جماعة. وقيل إن جار الله بن أبي بكر بن محمد المعروف بابن أبي اللطف المتوفى سنة ١٠٢٨/ ١٦١٨ أخذ المدرسة بعد وفاة عمِّه سراج الدين عمر [٦٢].

١٠- المدرسة الأرغونيّة

أنشئت سنة ٧٥٩/ ١٣٥٧، وواصلت دورها التعليمي، ففي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ عين الشيخ محمود بن أحمد الديري قارئا فيها [٦٣].

١١- المدرسة الجوهريّة

أنشئت سنة ٨٤٤/ ١٤٤٠، وواصلت دورها التعليميّ، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ كان الشيخ محمود بن أحمد الديري مقرئا فيها، وفي سنة ٩٨١/ ١٥٧٣ كان فيها ثلاثة عشر موظفاً لخدمة طلبة العلم [٦٤].

١٢- المدرسة الرصاصيّة

أنشأها الأمير بايرام جاويش بن مصطفى ناظر أعمال بناء سور القدس من قبل السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٧/ ١٥٤٠، وكانت في البداية رباطا مكونا من عدة أجزاء هي: ضريح بايرام جاويش، والرباط، ومكتب لتعليم الأطفال (كتّاب)، وقد دعي فيما بعد باسم المدرسة الرصاصيّة وأوقف عليها أوقافا كثيرة [٦٥].

١٣- المدرسة اللؤلؤيّة

أنشئت سنة ٧٧٥/ ١٣٧٣، واستمر إشعاعها العلمي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وممّن درّس فيها سنة ٩٨٥/ ١٥٧٧ الشيخ أبو العنايات بن أبي الهدى [٦٦].

١٤- المدرسة المنجكيّة

أنشئت سنة ٧٦٢/ ١٣٦٠، وممّن عمل بها الشيخ كمال الدين الذي كان ناظرها وشيخها سنة ٩٢٨/ ١٥٢١، وبعد وفاته تولاّها ابنه موسى بتوصية من قاضي القدس وبراءة من السلطان العثماني، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ تولى وظيفة الإعادة فيها الشيخ محمود بن أحمد

الديري [٦٧].

١٥- المدرسة الحسنيّة

أنشئت سنة ٨٣٧/ ١٤٣٣ واستمرت في أداء دورها حوالي أربعة قرون، وفي نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وقف عليها قرية العنب (أبو غوش)[٦٨].

١٦- المدرسة الفارسيّة:

أنشئت سنة ٧٥٠/ ١٣٤٩، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ عين الشيخ محمود بن أحمد الديري في نصف وظيفة النظارة على أوقافها، وفي نصف مشيختها بعد أن فرغ له والده عنها[٦٩].

١٧- المدرسة السلاميّة (الموصليّة)

أنشئت بعد سنة ٧٠٠/ ١٣٠٠، ودعيت في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بالموصليّة، وأوقف عليها عدة قرى هي: نعلين وجبع والبيرة[٧٠].

١٨- المدرسة الباسطيّة

أنشئت سنة ٨٣٤/ ١٨٣٠، وممّن أقرأ فيها الشيخ أحمد الديري ثم فرغ عنها لابنه الشيخ محمود سنة ٩٧١/ ١٥٦٣[٧١].

١٩- المدرسة الكريميّة

أنشئت سنة ٧١٨/ ١٣١٨، وممّن درّس فيها في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الشيخ جار الله بن أبي بكر المعروف بابن أبي اللطف، والذي كان فقيها للحنفيّة بالقدس، كما كان سنة ٩٩٠/ ١٥٨٢ ناظراً على وقف المدرسة الكريميّة[٧٢].

٢٠- المدرسة الغادريّة

أنشئت سنة ٨٣٦/ ١٤٣٢، وكان يعمل فيها سنة ٩٨١و٩٨٢/ ١٥٧٣و١٥٧٤ خمسة موظفين منهم شيخها الشيخ حمدان الغزّي ثم تلاه الشيخ حسام الدين، وستة عشر قارئا للقرآن، كما كان يتولى وقفها شاه رخ بك ابن الأمير محمد خان. وكان من أوقافها خان بسوق القطانين وهو خان الغادرية[٧٣].

٢١- المدرسة الطولونيّة

أنشئت قبل سنة ٨٠٠/ ١٣٩٧، وفي القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي كان لها دخل يسد حاجتها، وكان يأتيها من قرية وثلاث مزارع[٧٤].

٢٢- المدرسة الفناريّة

أنشئت سنة ٨٠٠/ ١٣٩٧، وكان من شيوخها في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر

الميلادي الشيخ أحمد بن أحمد الباجي الانطاكي المتوفى سنة ٩٤٠/ ١٥٣٣، وعمر ابن أبي اللطف المقدسي[٧٥].

٢٣- المدرسة المعظميّة

أنشئت سنة ٦١٤/ ١٢١٧، واستمر عطاؤها العلمي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حيث أوقف عليها قرية بتير[٧٦].

٢٤- المدرسة الحكميّة

درّس فيها الشيخ أحمد الديري، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ فرغ عنها لابنه محمود حيث عين في وظيفة قراءة ما تيسر لصدقات المدرسة الحكميّة[٧٧].

٢٥- المدرسة والزاوية والخانقاه الأسعديّة

بناها شيخ الإسلام أسعد أفندي بن سعد الدين حسن جان التبريزي المتوفى سنة ١٠٣٤/ ١٦٢٤، نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وكانت مدرسة ومركزاً للصوفية[٧٨].

٢٦- مدرسة البيمارستان الصلاحي

أدى البيمارستان الصلاحي منذ أنشأه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٨٣/ ١١٨٧ دوراً تعليمياً مهمّا استمر حتى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وعلى الرغم من أنه هدم في زلزال سنة ٨٦٢/ ١٤٥٨ فإن المؤسسة الصحيّة والتعليميّة ظلت قائمة في مبنى آخر، حيث كان الطلبة يتلقون فيها العلوم العقلية وبخاصة الطب، وكان القاضي الشرعي في القدس يعين موظفي البيمارستان ونظاراً على وقفه بصورة دوريّة[٧٩].

ثالثاً- في مجال تشجيع التصوف ونشر طرقه:

اهتم العثمانيون لأسباب عديدة بالحركة الصوفية في العالم الإسلامي التي كانت قد انتعشت في القدس في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كما في بقية أنحاء العالم الإسلامي. وازدادت قوة الصوفية في القدس مع الوقت حيث أقيم فيها عدد من الخوانق والزوايا والربط التي كانت تجذب إليها كثيراً من المريدين لحلقات ذكر ودراسة وتعليم. واهم الطرق الصوفية التي شجعها العثمانيون في القدس هي الطريقة المولوية، حيث حرص السلطان العثماني سليم الأول عندما زار القدس على تثبيت مولانا أخفش زاده رئيس

الدراويش المولوية في وظيفته . إذ كان في القدس عدد كبير من الأعيان والعلماء والرجال الذين ينتمون إلى هذه الطريقة الصوفية التي كان مركزها مدينة قونية التركية[٨٠] .

ونتيجة لانتشار الصوفية أنشئت عدة أربطة وزوايا وخوانق في القدس ومن أهمها :

١ . الرباط المنصوري ، وكان قائماً منذ ٦٨١/ ١٢٩٢ ، واستمر عمله في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وممن تولى وقفه الشيخ اسحق بن عمر بن أبي اللطف وذلك سنة ٩٨٣/ ١٥٧٥[٨١] .

٢ . رباط الكرد ، وكان قائماً منذ ٦٩٣/ ١٢٩٢ ، وفي أوائل العهد العثماني بنى الطابق الثالث منه[٨٢] .

٣ . رباط بايرام ، وهو الرباط الوحيد الذي أنشئ في العهد العثماني ، وقد أنشأه بايرام جاويش بن مصطفى سنة ٩٤٧/ ١٥٤٠ بعد أن انهى بناء سور القدس[٨٣] .

٤ . الخانقاه المولوية ، أنشأها قومندان القدس خداوندكار بك سنة ٩٩٥/ ١٥٨٦ لاتباع الطريقة المولويّة في القدس ، فساعد هذا على انتشار هذه الطريقة ، وكان شيخ الخانقاه يعين من الشيخ الأعلى للطريقة المولوية في مدينة قونية[٨٤] .

٥ . الزاوية الجراحيّة ، كانت قائمة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وأوقف عليها عدة أوقاف ، منها : أرض سيدي جراح بالقدس ، وقرية طاب السفلى[٨٥] .

٦ . الزاوية الأدهميّة ، استمرت قائمة في العهد العثماني ، وفي سنة ٩٨٤ و٩٨٥/ ١٥٧٦ و ١٥٧٧ كان خمس الحمام الجديد في صفد وقفاً عليها[٨٦] .

٧ . زاوية الهنود : أعاد بناءها الشيخ بابا فريد شكر كنج الذي قدم القدس من الهند أواسط القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وأوقف عليها أوقافاً لخدمتها ، وكان ينزلها المسلمون القادمون من شبه الجزيرة الهندية[٨٧] .

٨ . تكية خاصكي سلطان : أنشأتها روكسيلانة زوجة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩/ ١٥٥١ لمساعدة الطلبة والفقراء ، وأوقفت عليها أوقافاً كثيرة في أنحاء فلسطين وخارجها ، إذ انتشرت الأوقاف في خمسة سناجق هي : القدس ، ونابلس ، وغزة ، وصفد ، وصيدا . وكانت محاصيل المزارع الموقوفة عليها تفيض عن حاجة التكية في أحيان عديدة[٨٨] .

انتشرت الربط والزوايا والتكايا والخوانق الصوفية في القدس ، وكانت تضم مكتبات خاصة بها ، فاستخدمت على الأغلب مراكز للتعليم الصوفي ، حيث اتخذها كثير من العلماء الصوفيين أماكن لتعليم القراءة والكتابة . وأسهم في زيادة فعالية هذه الأماكن من ناحية تعليمية

أنها أصبحت في بداية العهد العثماني ملاجئ للفقراء من نساء ورجال حيث يقدم لهم فيها الطعام ويعطون مساعدات كثيرة، وبذلك فقد استغل علماء الصوفية هذا الوضع لبثِّ أفكارهم بين اللاجئين إليهم، وذلك بعد تعليمهم القراءة والكتابة[٨٩].

وقد أدى انتشار الصوفية في القدس إلى توارث الاعتقاد بها في عائلات عديدة مهمة في القدس، وقد أنجبت بعض العائلات المقدسية عدداً من علماء الصوفية الذين برعوا في غير علم، ومن تلك العائلات: عائلة العلمي، ومن أهم علمائها: أبو الهدى العلمي المتوفى ١٠١٢/ ١٦٠٣[٩٠]. ومحمد بن محمد العلمي المقدسي المتوفى سنة ١٠٣٨/ ١٦٢٨[٩١]. وعائلة الدجاني، ومن علمائها: القطب الكبير أحمد بن علي بن ياسين الدجاني المتوفى ٩٦٩/ ١٥٦١[٩٢]. ومحمد بن أحمد الدجاني المتوفى ١٠٢٦/ ١٦١٧[٩٣].

رابعاً – هجرة العلماء إلى بيت المقدس

دأب كثير من العلماء المسلمين في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي على زيارة بيت المقدس. وقد تمكنت من خلال متابعتي لحركة العلماء في بلاد الشام من ملاحظة ثلاثة دوافع كانت تقف وراء زيارة العلماء المسلمين لبيت المقدس هي:

١– الزيارة الدينيّة

كان كثير من العلماء يزورون بيت المقدس للصلاة في المسجد الأقصى المبارك وزيارة الأماكن المقدسة فيه. إذ أن الصلاة في المسجد الأقصى المبارك تعادل خمسمائة صلاة في غيره[٩٤]، فضلاً عن أنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال[٩٥]. كما روي عن كعب أن جميع الأنبياء عليهم السلام زاروا بيت المقدس تعظيماً له، عن كعب قال " من زار البيت المقدّس شوقاً إليه دخل الجنة "[٩٦]. أو يزورونه بعد الانتهاء من أداء فريضة الحج في الديار الحجازية فيما عرف عند العامة باسم " تقديس الحجة "، وذلك اقتداء بالسنة النبوية المشرفة، حيث ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة وزيارة بيت المقدس والصلاة في مسجده الأقصى، فعن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من حج أو اعتمر، وصلى ببيت المقدس، وجاهد، ورابط، فقد استكمل جميع سنني "[٩٧]. أو يزورونه قبل الحج والعمرة اقتداء أيضا بالسنة المطهرة، فقد ورد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له

الجنة " [٩٨] .

وكثيراً ما ورد في كتب التراجم أن فلانا حجّ وزار بيت المقدس ، ومن العلماء الذين زاروا بيت المقدس زيارة دينية : علي بن يوسف الوديني الرومي المتوفى ٩٦٥/ ١٥٥٧ ، حجّ وزار بيت المقدس[٩٩]، وأبو بكر بن أحمد بن محمد الحلبي الجلومي الشافعي المتوفى ٩٦٨/ ١٥٦٠ ، حج وزار بيت المقدس[١٠٠] . وشيخ الإسلام علي بن غانم المقدسي المتوفى ١٠٠٤/ ١٥٩٥ ، رحل إلى القدس ثلاث مرات[١٠١] . وموسى السندي كان من الأولياء الصالحين ، جاور بالمدينة المنورة ، ثم رأى أن إبراهيم الخليل عليه السّلام يطلبه ، فسافر إلى الشام وزاره ، وسكن القدس حتى مات فيها[١٠٢] .

٢- من قصد مصر كان يمرّ بالقدس

تبيّن لي في هذه الدراسة أن عدداً من علماء بلاد الشام وتركيا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، كان يسافر إلى مصر لأسباب عديدة ، فكان هؤلاء يزورون بيت المقدس للصلاة في مسجدها الأقصى ومسجد قبة الصخرة ، ولزيارة أماكنها الدينية الأخرى مثل أضرحة الصحابة ، والتابعين ، والصالحين ، وغيرها من المزارات ، ومن هؤلاء العلماء : علي بن محمد بن عراق المتوفى ٩٦٣/ ١٥٥٥ . سافر من دمشق قاصداً زيارة بيت المقدس سنة ٩٤٧/ ١٥٤٠ ثم سافر منها إلى مصر[١٠٣] . ودرويش محمد بن أحمد الطالوي الأرتقي الدمشقي المتوفى سنة ١٠١٤/ ١٦٠٥ ، فقد زار بيت المقدس سنة ٩٩٨/ ١٥٨٩ وهو في طريقه إلى مصر . حيث التقى فيها عدداً من العلماء ، ومنهم الشيخ زين الدين عمر ابن أبي اللطف إذ نزل عنده مدة إقامته في القدس ، وقد أحبّ المدينة وحنّ إليها في قصيدة قالها وهو في غزة في أثناء ذهابه إلى مصر[١٠٤] .

٣- الدافع العلمي

على الرغم من أن الهدف الديني كان هو السبب الأساس في زيارة العلماء لبيت المقدس إلا أن عدداً منهم كان يسعى إلى تحقيق هدف آخر من زيارته ، وهو تلقي العلم على علماء بيت المقدس ، إذ كانت الحركة العلمية فيها مزدهرة ، وكان فيها عدد من مشاهير علماء ذلك الوقت ، وممّن رحل إلى بيت المقدس لتلقي العلم فيها : الحسن بن محمد بن محمد البوريني المتوفى ١٠٢٤/ ١٦١٥ ، إذ هاجر من دمشق مع والده إلى بيت المقدس سنة ٩٧٥/ ١٥٦٧

ومكث فيها خمس سنوات تلقى العلم خلالها على عدد من علمائها كان من أهمهم الشيخ محمد بن محمد أبي اللطف المقدسي المتوفى سنة ٩٩٣/ ١٥٨٥[١٠٥].

كما رحل عدد من العلماء إلى بيت المقدس لإعطاء دروس علمية في المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة، ومن هؤلاء: محمد بن شعبان بن خلف الضيروطي المصري المعروف بابن عروس و المتوفى سنة٩٤٩/ ١٥٤٢، الذي رحل إلى بيت المقدس وعلم فيها[١٠٦]. ومحمد بن علي بن محمد البكري الصديقي، زار القدس مدة ودرّس فيها[١٠٧]. وشيخ الإسلام علي بن محمد بن غانم القدسي المتوفى سنة ١٠٠٤/ ١٥٩٥، رحل إلى القدس ثلاث مرات وعلّم فيها[١٠٨].

خامساً – دفن العلماء فيها

واصل كثير من العلماء المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي الاعتقاد بقدسية مدينة القدس حتى عند وفاتهم، وبذلك كانوا يهتمون لا بل يوصون بأن يتم دفنهم في تراب بيت المقدس الذي هو أرض المحشر والمنشر يوم القيامة، حسب الاعتقاد السائد بين المسلمين ووفق ما ورد في القرآن والسنة، فقد قال تعالى (فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالسّاهرة[١٠٩]، وقال بعض المفسرين إن الساهرة هي إلى جانب جبل الطور (الزيتون) بالقدس[١١٠]، وعن ميمونة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لما قيل له: افتنا في بيت المقدس، قال: أرض المحشر والمنشر" [١١١]. وعن أبي هريرة، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: " من مات في بيت المقدس، فكأنما مات في السماء".[١١٢]. وقد حرّم الإمام الشافعي رضي الله عنه نقل الميت من بلد إلى بلد إلا أن يكون عن مكة أو المدينة أو بيت المقدس في دون مسافة القصر، فحينئذ لا يحرمه، وذلك لفضل الدفن في المدن الثلاثة [١١٣].

استناداً لما سبق فإن عدداً غير قليل من الصحابة، والتابعين، والأولياء، والصالحين على مر العصور الإسلامية دفنوا في مقابر بيت المقدس المنتشرة في أنحائه كلها. [١١٤] كما أن ملوك الدولة الأخشيدية أوصوا بأن يتم دفنهم في القدس، فحمل عدد منهم من القاهرة إلى بيت المقدس حيث دفنوا في مقبرة خاصة بهم في منطقة باب الأسباط[١١٥].

عدد غير قليل من العلماء في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وجريا على عادة من سبقهم في العصور السابقة، أوصوا بأن يتم دفنهم في بيت المقدس، ومن هؤلاء: موسى بن عبد الله بن جماعة المتوفى سنة ٩١٦/ ١٥١٠، وعبد الرحمن بن إبراهيم

بن جماعة المتوفى سنة ٩٢٤/ ١٥١٨، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي المقدسي الحنبلي، مجير الدين، المتوفى سنة ٩٢٧و٩٢٨/ ١٥٢١ أو ١٥٢٢. ومحمد بن محمد بن علي بن أبي اللطف الحصكفي المقدسي المتوفى ٩٢٨/ ١٥٢٢، وعبد العزيز المقدسي المتوفى سنة ٩٤٨/ ١٥٤١، ومحمد بن محمد بن علي بن أبي اللطف المقدسي المتوفى سنة٩٧١/ ١٥٦٣، ومحمد بن محمد، شمس الدين المقدسي، المتوفى سنة٩٩٣/ ١٥٨٥، وعمر بن أبي اللطف المقدسي المتوفى سنة ١٠٠٣/ ١٥٩٤,[١١٦].

كما أن كثيراً من علماء الصوفية ورجالها الصالحين حرصوا على أن يدفنوا في بيت المقدس، ومن أشهر من دفن منهم في أرض بيت المقدس: الشيخ شمس الدين محمد ابن محمد بن أحمد الشهير بابن العجمي القدسي المتوفى سنة ٩٣٨/ ١٥٣١[١١٧]. وأحمد الدجاني جد آل الدجاني المتوفى سنة ٩٦٩/ ١٥٦١، وقد دفن في مقبرة مأمن الله[١١٨]. والواعظ شمس الدين محمد العجمي، الذي كان حضر مع السلطان سليمان القانوني فتح جزيرة رودس، وقرّبه منه، ثم رحل إلى القدس، فسكنها، ثم استمر يعظ فيها حتى مات سنة ٩٧٠/ ١٥٦٢، ودفن في قبة كان أنشأها جوار المدرسة البسطامية[١١٩].

سادساً: القدس في أدب الرحلات

أدب الرحلات موضوع من موضوعات الأدب العربي ظهر في وقت مبكر، فكان كثير من العلماء في مجالات علمية عديدة يرحلون بين أقطار العالم الإسلامي ومدنه لأهداف وغايات متنوعة، وبعضهم كان يسجل رحلاته في كتب خاصة يعطيها غالباً أسماء المدن أو الأقطار التي كان يقصدها في رحلته، ومن أهم الرحالة الذين سجلوا رحلاتهم محمد بن أحمد بن جبير المتوفى سنة ٦١٤/ ١٢١٧، ومحمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩/ ١٣٧٧.

في العصر العثماني وبخاصة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي كثر ارتحال العلماء المسلمين لأسباب متعددة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز وبلاد الروم (تركيا) والمغرب وإلى داخل تلك البلاد.

وكان من أهم المدن التي اجتذبت علماء المسلمين للرحلة إليها لأسباب دينية أو علمية أو معيشية مدينة بيت المقدس، حيث ارتحل إليها عدد غير قليل من العلماء في بداية العهد العثماني. وقد قام بعض هؤلاء بتسجيل رحلاتهم إلى القدس نثراً أو شعراً، ومن أهم من

رحل إلى القدس وألف في ذلك في بداية العصر العثماني :

١- أحمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي المتوفى سنة ١٠٣٤/ ١٦٢٥، رحل من صفد إلى القدس، ونظم رحلته شعراً [١٢٠].

٢- محب الدين، محمد بن أبي بكر تقي الدين بن داود الحموي الدمشقي المتوفى سنة ١٠١٦/ ١٦٠٨ رحل إلى القدس في مهمة رسمية مع قاضي قضاة دمشق ومفتي الحنفية سنة ٩٧٨/ ١٥٧٠ بأمر من السلطان العثماني لحل خلاف بين المسلمين والنصارى في بيت المقدس. وبعد أن أدوا مهمتهم، زاروا الأماكن المقدسة الإسلامية في القدس ثم سافر هو إلى مصر. وقد ألف في هذه الرحلة كتابا سماه " حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية أو الدّرة المضيّة في الرحلة المصرية ". وقد تحدث في هذه الرحلة عن زيارته للقدس، والكتاب ما زال مخطوطاً [١٢١].

سابعاً: القدس في أدب الفضائل

اعتاد العرب في العصر الجاهلي على الفخر بقبائلهم، ثم انتقل فخرهم إلى مكان السكن، فوصفوا مناطق سكناهم، وبيّنوا فضائلها على غيرها من حيث الموقع والهواء والأشجار وغيرها من الفضائل الدنيوية.

وفي العصر الإسلامي اعتمدوا في التفاخر بالمدن وأماكن السكن على ذكر فضائل دينية استناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة حول أماكن سكناهم. وقد تركز ذكر الفضائل في مدن محددة مثل مكة والمدينة المنورة، و القدس، والكوفة، ودمشق، والقاهرة. كما حاول أهالي مناطق أخرى الإشارة إلى فضائل بلدانهم استناداً إلى أحاديث نبوية شريفة مثل أهل جزيرة قبرص، وأهل الأندلس [١٢٢].

وقد تطور التفاخر فيما بعد، وتحديداً في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين/ نهاية الثامن وبداية التاسع الميلاديين، إلى ما عرف في الأدب العربي بأدب فضائل المدن، الذي هو جزء من أدب الفضائل، وهو موضوع مهم من موضوعات الأدب العربي.

وأدب فضائل المدن يجمع بين التاريخ، والجغرافيا، والقصص الدينية، والخرافات، والأدب؛ شعراً ونثراً. وقد اهتم كتّاب أدب فضائل المدن بارشاد حجاج المدن وزائريها إلى الأماكن المقدسة فيها، وبخاصة المساجد، والمقامات، والمزارات، والزوايا، والتكايا، والربط، والخوانق، وقبور الأولياء، والصالحين، والتابعين، وغيرها من الأماكن التي قد

يهتم بها الزائرون كل حسب اهتمامه واعتقاده .

واحتلت مدينة القدس مكانة مهمة لدى الكتاب الذين ألفوا في أدب الفضائل إذ ألف فيها على مدى العصور عدد كبير من الكتاب، وقد أحصى الدكتور كامل العسلي في كتابه " مخطوات فضائل بيت المقدس " أسماء ٤٩ كتابا ورسالة ألفت في فضائل بيت المقدس . وقال إن ستة عشر كتابا منها ضاعت كلياً أو جزئياً، وقد توزع مؤلفو تلك الكتب على أقطار العالم الإسلامي المختلفة وفق الآتي : ١٠ مقدسيون أو فلسطينيون، و١١ دمشقيون و ٦ مصريون، وعراقيان، ومغربيان، وتركيان، واثنان من بلاد ما وراء النهر، وواحد حجازي، وآخر فارسي. وقد كان أكثر المؤلفين ممن زار القدس أو اتصل بها بشكل من أشكال الاتصال المتنوعة[١٢٣] .

وفي القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ألفت ثلاث كتب في فضائل بيت المقدس، ضاع واحد منها، وهي :

١ . الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين، المولود في القدس سنة ٨٦٠/ ١٤٥٥، والمتوفى بها سنة ٩٢٧أو ٩٢٨/ ١٥٢٠أو١٥٢١، وقد وجد قبره قرب كنيسة الجسمانية شرقي باب الأسباط .

والكتاب في تاريخ القدس منذ فجر الخليقة حتى عصر مؤلفه، بدأ بتأليفه في ١٥ذي الحجة سنة٩٠٠/ ١٤٩٤، وفرغ منه في اقل من أربعة أشهر . وقد طبع عدة مرات، لكنه لم يحقق تحقيقا علميا[١٢٤] . وقد وضع الدكتور اسحق موسى الحسيني وآخرون فهارس كاملة للكتاب سنة ١٤١٩/ ١٩٨٨ ,[١٢٥]

٢ . المستقصى في فضائل الأقصى، لنصر الدين الحلبي الرومي المتوفى سنة ٩٤٨/ ١٥٤١، وتضمن وصفا لشعائر زيارة المسجد الأقصى . وقد نشر في مجلة تربيز العبرية، المجلد الثلاثون لسنة ١٩٦١، في الصفحات ٢٠٩-٢١٤ ,[١٢٦]

٣ . فضائل بيت المقدس، لمحمد بن علي بن طولون الصالحي الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣/ ١٥٤٦[١٢٧] .

ثامناً: مدح القدس في الشعر

زار كثير من العلماء القدس، وكتب بعضهم عن فضائلها، وتاريخها، وجغرافيتها

وأهميتها وكل ما يتعلق بها، وكتب آخرون رحلات شعرية ونثرية، وصفوا فيها القدس، وتعرضوا لتاريخها، ومعالمها.

وقد أطنب ياقوت الحموي المتوفى ٦٢٦/ ١٢٢٨ في ذكر محاسن القدس، وقال إن من أعظم محاسن المسجد الأقصى أنه إذا جلس انسان فيه في أي موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها. ولذا قيل إن الله نظر إليه بعين الجمال ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال. وأورد في ذلك قول أحد الشعراء(١٢٨):

[الطويل]

أهيمُ بقاعِ القدسِ ما هبَّت الصَّبا ... فتلكَ رباعُ الأنسِ في زمن الصِّبا

وما زلتُ في شوقي إليها مواصلاً ... سلامي على تلك المعاهد والرُّبى

وكثيرا ما مدحت مدينة القدس من قبل من زارها من العلماء والشعراء على مختلف العصور، وفي سنة ٩٩٨/ ١٥٨٩ زار بيت المقدس الشاعر درويش الطالوي، وهو في طريقه إلى الديار المصرية للأخذ عن علمائها، ومكث فيها فترة زمنية لم يحدّدها، فرأى رؤية عجيبة بالبيت المقدس، وتحديداً في الحرم القدسي الشريف، فقال قصيدة من اثني عشر بيتا، بدأها بتحديد وقت وصوله المدينة المقدسة وحال راحلته وهو متوجه إليها؛ فهو وصل ليلاً، وكانت راحلته أسرع من السحب ونعام البرية على الرغم من وعورة الطريق، قال:(١٢٩)

إلى المسجدِ الأقصى من الحرم القُدسيّ ... سرينا فوافى الفتحُ من حضرة القُدسِ

وجئنا حمى التقديس والليلُ راقدٌ ... وقد جُنّ حتى لا يفيقَ من المسِّ

طلائعُ أنضاءٍ على مثلها لها ... على الأَيْنِ إرقالُ الظَّليمِ على الحَرْسِ

تُباري نَعامَ الجوِّ طوراً وتارةً ... تُجاري نعامَ الدَّوفي المهمهِ الوَعْسِ

ثم يبين حاله عندما وصل المدينة المقدّسة، فقد اكتحلت عيناه بالحرم القدسي، ونزل في الأرض المباركة وتحديداً على جبل الطور فرأى الحرم القدسي يلمع، وقد جلّى سناه وبريقه ظلمة الليل، قال:

إلى أن بدتْ للعينِ أعلامُ ذي طُوى ... وبانَ حِمى البيتِ المقدَّسِ عنْ رِجْسِ

نزلنا من الوادي المقدّسِ شاطئاً ... على بقعة فيه مباركة الرَّمْسِ

فلاحَ لنا من جانب الطُّور لامعاً ... سنا ضوء نارٍ قد جلَتْ ظلمةَ اللّبْسِ

ثم وصف أثر رؤيته الأماكن المقدسة في نفسه، فقد أيقن قلبه الحقيقة، فتخلى بذلك عن حاسة الحدس، وصوّر ما حصل معه بما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام في طور سيناء حيث كلّمه الله في الواد المقدس، وهو سمع نداء داخليا يناديه بأن يأمن في حمى المسجد الأقصى ويطمئن، قال:

ومــا تــلك نــارٌ بـل ســنا ربّةِ السَّنا تجلى لقلبٍ قد تـخلّـى عن الحدْسِ
أضاء سـناهـا طــورَ ســيناءَ مـــرّةً وآنسـهـا مـن قـبـلُ مـوسـى بـلا حِسٍّ
سمعنا بطور القلبِ منها نـــداء مَـــنْ تــنـزَّه عن فـصـلٍ يـدانـيـه أو جـنـسِ
ونادى منادي القُرب من حضرة الرضا ألا فانعموا فالفتحُ فوق جنى الغَرْسِ
فطوبى لنا من حاضري أيمـنِ الحـمَـى وطوبى لنا من حاضري حضرةِ القُدْسِ

وبعد أن مكث درويش الطالوي فترة من الزمن في القدس، وهو في ضيافة علامة القدس عمر بن أبي اللطف المتوفى سنة ١٠٠٣/ ١٥٩٤، حيث زار فيها الأماكن المقدسة، سافر إلى مصر، لكن وقبل أن يبعد عن بيت المقدس كثيراً، وعندما وصل غزة هاشم حنَّ إلى بيت المقدس، فكتب قصيدة إلى صديقه ومضيفه الشيخ عمر بن أبي اللطف يحنُّ فيها إلى القدس وأهلها وصديقه. وقد بدأ القصيدة على طريقة الشعراء الجاهليين، فدعا الله أن يسقيها الغيث لأن له فيها ذكريات جميلة، وأن يبقى نسيمها رقيقاً لأن قلبه رهين بها، كما أنها مسكن أحبته الذين إن تذكرهم جرت عيناه بالدموع، فهم مكثوا فيها وهو غادرها جسداً لكن قلبه بقي أسيرهم، قال(١٣٠):

سقى معهداً من إيلياء هتونُ فلي بين هاتيك الرُّبوع شُجونُ
ولا زال خفَّاقَ النسيم بربعه يطيفُ فإن القلب فيه رهـينُ
منازلُ أحبابٍ إذا عنَّ ذكرهُمْ سقَتهم على بعد الدِّيار شؤونُ
أقاموا وسِرْنا والفؤادُ لديهمُ مقيمٌ وهل يرعى الودادَ خدينُ

وبعد أن يخاطب أهل المدينة المقدسة، مستبعداً أن يجود الدهر بمثلهم، يدعو لهم ولديارهم بالسقيا والرحمة، ويخص صديقه بالدُّعاء، ويعدّد فضائله، ثم يدعو لهم بالسلامة مدى الدهر، ويؤكد لهم أنه لم يفارقهم بغضاً لهم بل تنفيذاً لقضاء الله، قال:

عليكم سلامُ الله ما حنَّ عاشقٌ   تضاعف منهُ أنّةٌ وحنينُ
فوا لله ما فارقتُكم قالياً لكم   ولكنَّ ما يُقضى فسوف يكونُ

أما الأديب والمؤرخ شهاب الدين الخفَّاجي المتوفى سنة ١٠٦٩/ ١٦٥٨، فقد كتب إلى الشاعر محمد الصالحي الهلالي المتوفى سنة ١٠١٢/ ١٦٠٣، قصيدة تائية ملغزاً من شعر الصِّبا، فأجابه محمد الصالحي بقصيدة مطلعها:[(١٣١)]

طالت وقد قَصُرت عنها العباراتُ   وحازت الحسن هاتيكَ البَراعاتُ

ثم ذكر حنينه إلى القدس التي كان قد سكنها في سالف الأيام، ذلك أن الألغاز كان في معنى مدينة القدس، قال:

لله أحجيةٌ منه أتت فسَرتْ   منها إلى السَّمْعِ نفحاتٌ زكيَّاتُ
وأذكَرَتْني بأنَّ القدسَ من سكني   وبانَ بالبانِ منْ شكوايَ ميلاتُ
والورقُ رقّتْ لما ألقاهُ ساجعةً   كأنَّها فوق غُصْنِ البانِ قيْناتُ

تاسعاً: علاقة المسلمين بأهل الذّمة.

قامت علاقة المسلمين في بيت المقدس مع أهل الذمة (اليهود والنصارى) على مبدأين مهمين هما:

١- السنة النبوية الشريفة، إذ عامل الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، اليهود والنصارى معاملة حسنة في مواقف حياتية كثيرة ضارباً بذلك المثل للمسلمين في أن يسيروا على سنته الشريفة، ولخّص هذه السنة للمسلمين من بعده في أحاديث شريفة منها قوله، صلى الله عليه وسلم، [من آذى ذميا فأنا خصمه][(١٣٢)]، وقوله [ألا من ظلم معاهداً أو تنقَّصه أو كلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة] [(١٣٣)].

٢- احترام العهدة العمرية التي منحها الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب لبطريرك القدس صفرونيوس عندما تسلمها منه عام ١٦/ ٦٣٧[(١٣٤)].

بناء على المبدأين السابقين فقد كانت علاقة المسلمين بأهل الذمة في بيت المقدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي علاقة حسنة في أغلب الأحيان. وعلى الرغم من أنني لا أقصد استقصاء جوانب هذه العلاقة وجزئياتها الدقيقة في جوانب الحياة المختلفة لأن

ذلك يطيل البحث ويخرجه عن أهدافه، فإنني أجد لزاماً عليَّ أن أذكر بعض ملامح تلك العلاقة، والتي يمكن التوسع فيها لمن يريد فيكتب بحثاً منفصلاً فيها، ويمكن تلخيص ملامح العلاقة في الآتي:

أ) العلاقة مع النصارى

أكد العثمانيون احترامهم لنصارى بيت المقدس منذ لحظة دخول السلطان سليم الأول للمدينة فاتحاً سنة ٩٢٣/ ١٥١٧، إذ عُرضت عليه العهدة العمرية فوضعها على رأسه احتراماً لها(١٣٥). وهذا الموقف جعل السلاطين العثمانيين يمنحون نصارى بيت المقدس بطوائفهم المختلفة حرية دينية واجتماعية كاملة ضمن إطار قوانين الدولة، لكن كانت توجد منافسة بين الطوائف المختلفة، فكانت طائفة الروم الأرثوذكس وهم عرب تشكل الأكثرية في القدس، وكان مقرها الديني في عاصمة الدولة العثمانية استانبول، لذلك فقد كانت لها مكانة مهمة في الدولة العثمانية وأفضلية على الطوائف الأخرى. وعندما عقدت بعض الدول الأوروبية اتفاقات مع الدولة العثمانية تمكنت من تحسين موقف طائفة اللاتين وغيرها من الطوائف الغربية في القدس، حيث أخذت تلك الدول وبخاصة فرنسا وإسبانيا والنمسا تتدخل لدى الدولة العثمانية من أجل حماية مصالحهم(١٣٦).

وبناء على ما سبق فقد واصلت الدولة العثمانية السماح للحجاج المسيحيين من مختلف الدول بزيارة أماكنهم المقدسة، حتى تلك التي كانت جزءاً من الممتلكات الإسلامية منذ الفتح الصلاحي للقدس عام ٥٨٣/ ١١٨٧، بحرية تامة ومقابل رسم بسيط، كما حدث في السماح للحجاج المسيحيين بزيارة قبو في المدرسة الصلاحية، كانوا يعتقدون أنه مقدّس(١٣٧).

وفي سنة ٩٢٤/ ١٥١٨ بعد عودة السلطان سليم الأول من بلاد الشام ومصر وفي أثناء إقامته في مدينة أدرنة، وصل إليه سفير من مملكة إسبانيا- التي كانت قد قضت على الحكم الإسلامي في الأندلس وشرَّدت المسلمين منها- وتحدث مع السلطان في السماح للمسيحيين من إسبانيا بزيارة القدس الشريف، كما كان الأمر في عهد الدولة المملوكية، وذلك مقابل دفع المبلغ الذي كانت إسبانيا تدفعه سنويا للدولة المملوكية فأحسن السلطان وفادة السفير، ومقابلته، وصرَّح له بقبول ذلك على أن يرسل ملك إسبانيا رسولاً آخر للسلطان سليم يخوله حق ابرام معاهدة مع الباب العالي(١٣٨).

وفي عام ٩٣٥/ ١٥٢٨ أرسل ملك فرنسا فرنسيس الأول كتابا إلى السلطان سليمان القانوني طلب فيه إرجاع كنيسة في القدس إلى المسيحيين بعد أن تحوّلت إلى مسجد، وكانت

تربط الاثنين صداقة قوية، إلا أن السلطان سليمان رفض طلب ملك فرنسا مستنداً إلى أنه لا يستطيع إعادة الكنيسة لأنها صارت جامعاً منذ زمن غير معلوم وجاء في جوابه: " ومن ثم يكون تغيير حالة موضع قد تسمى جامعاً، وأقيمت فيه الصلوات مغايراً لدين المسلمين، وبالاختصار أقول لك: أنه لا يمكنني إجابة سؤالك، ولكن ما عدا الأماكن المعدة لإقامة شعائر الدين فكل مكان يكون في أيدي النصارى يبقى لهم، ولا أسمح لأحد في مدة حكمي العادل أن يشوش راحتهم، وما داموا تحت ظل حمايتي فأرخص لهم أن يمارسوا أمور دينهم وطقوسهم في معابدهم بدون معارضة"[١٣٩].

ومن هنا يتبيَّن أن السلطان سليمان القانوني أعطاهم أمانا يشبه إلى حدّ كبير ما ورد في العهدة العمرية، من حيث الأمان في النفس والمال والممتلكات والمعابد وحرية الحياة والراحة.

ومقابل ذلك فإن الدولة العثمانية لم تكن لتسمح لأهل الذمة بالاعتداء على المسلمين، وممتلكاتهم، ومقدساتهم، فقد أورد النجم الغزّي في "الكواكب السائرة" في أثناء ترجمته للمفتي أحمد بن عبد الله المعروف بنوري أفندي، أن السلطان العثماني أوفده في مهمة رسميّة مع قاضي قضاة دمشق محمد أفندي جوي زاده سنة ٩٨٧/ ١٥٧٩ للتحقق من شكوى مسلمي القدس بأنّ النصارى جدّدوا شيئاً في كنيسة لهم بالقدس واعتدوا على مسجد، فقدم الاثنان في وفد إلى بيت المقدس للتفتيش على الكنيسة المذكورة والكشف عليها. " فوجدا النصارى قد أحدثوا أوضاعاً منكرة، ووجدا إلى جانب الكنيسة مسجداً قديماً هدم الكفار حيطانه، وحولوا وضعه القديم، وجدّدوا بنيانه. فأمر قاضي القضاة المذكور بمحضر من المفتي المذكور وعلماء بيت المقدس بهدم ما جدّده الكفار من البنيان، واعادة القديم كما كان، فهدم المسلمون بنيان النَّصارى، وأعلنوا التكبير، وأقيمت صلاة الجماعة في عصر ذلك اليوم في المسجد المذكور"[١٤٠]

ومن هذا الخبر يتضح أنه وعلى الرغم من امتلاك المسلمين للسلطة والقوة إلا أنهم لم يأخذوا القانون بأيديهم، بل رفعوا الأمر إلى السلطان الذي شكل لجنة تحقيق من مفتي الشام وقاضي قضاتها، وعلماء بيت المقدس الذين عاينوا المكان، واستمعوا إلى الطرفين ثم قرَّروا ما رأوه الحق ونفّذوه.

ب- العلاقة مع اليهود

ازداد عدد اليهود في فلسطين بعامة والقدس بخاصة في القرن العاشر الهجري / السادس

عشر الميلادي بشكل ملحوظ، وذلك نتيجة سماح الدولة العثمانية ليهود أوروبا وبخاصة من اسبانيا والبرتغال بالقدوم إلى أراضيها وبخاصة فلسطين حيث مكنتهم الدولة العثمانية من السكن في أي مكان من فلسطين، فتوجه القسم الأكبر منهم إلى مدينة صفد شمالي فلسطين، وقسم أقل إلى بيت المقدس[١٤١].

وعلى الرغم من هذه الزيادة فإن عدد اليهود بقي قليلاً في القدس، فقد أحصى قاضي القدس الشرعي في ١٩ جمادى الأولى عام ٩٨٠/ ١٥٨٢ عدد اليهود الذين يعيشون في القدس وحرر أسماءهم فوجد أنهم ١١٥ شخصاً يعيش ٥٥ منهم حول الحرم القدسي الشريف، والآخرون في بقية الأحياء[١٤٢].

وكان المسلمون يعاملون اليهود معاملة حسنة، فقد قام المسلمون بتأجير أرض لليهود في منطقة رأس العامود لاستخدامها مقبرة، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ قبض الشيخ عفيف الدين بن جماعة الكناني ايجار المقبرة باعتبارها جزءاً من أوقاف المدرسة الصلاحيّة، وقد دفع ممثلو اليهود الإيجار عن سنتين. [١٤٣]

وكان اليهود يحتلون مكانة مرموقة لدى الدولة العثمانية، فقد ورد أنه كان للسلطان سليم الثاني بن سليمان القانوني قبل توليه السلطنة نديم يهودي يقال له روسفناسي، وكان يحب شرب الخمر كثيراً، فطلب من السلطان أن يفتح جزيرة قبرص طمعاً بجودة الخمر الذي بها، فوعده السلطان أنه متى جلس على تخت الملك يأخذ جزيرة قبرص، ويجعله حاكما عليها، وفعل ذلك السلطان سليم بعد توليه الحكم[١٤٤].

وأكد حسن هذه المعاملة اليهودي الإيطالي دافيد دي روسي الذي زار القدس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فقال يصف حياة اليهود في القدس: " نحن هنا لسنا في المنفى، كما نحن في بلادنا ذاتها (إيطاليا) هنا. . . المعيَّنون على الجمارك والمكوس من اليهود، وليست هناك ضرائب خاصة مفروضة على اليهود. . . "[١٤٥] وخلص أمنون كوهين في دراسة له عن الحياة اليهودية في القدس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي إلى أن حكام المسلمين قد شجّعوا قيام حياة يهودية مستقلة في القدس واسبغوا عليها الحماية[١٤٦]. مع ملاحظة أن استقلالية الحياة تبقى في الشؤون الخاصة وضمن القوانين الإسلامية السائدة.

الخاتمة

اتضح لي من خلال هذه الدراسة أن مدينة القدس احتلت مكانة دينية، وسياسية، وثقافية، واجتماعية مهمة لدى الدولة العثمانية، كما احتلت المكانة نفسها وأكثر لدى شعوب هذه الدولة، فالسلاطين العثمانيون وفّروا للمدينة وأهلها أشياء كثيرة، وحرصوا على أن يبقى لها دورها في المنطقة، وحافظوا على سيادة الإسلام والمسلمين فيها، وظهر ذلك في جوانب عديدة.

أما شعبيا، فقد اهتم العلماء والأدباء والمؤرخون والصالحون والصوفية بالمدينة من النواحي كلها، وظهر ذلك من خلال استمرار زيارتها لأسباب دينية وعلمية والحرص على الدفن فيها، والتأليف في فضائلها، ووصفها، فضلا عن مدحها شعرا.

وقد منحت الدولة العثمانية أهل الذمة فيها حرية ادارة شؤونهم الداخلية ضمن الالتزام بالقوانين الإسلامية التي كانت تظهر حزما في تطبيقها على أعلى المستويات.

مكانة القدس الدينية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، صاحبتها مكانة سياسية، وثقافية، واجتماعية للمدينة في بلاد الشام، وهذا يعطيها مكانا أهم من أن تكون عاصمة سياسية فقط للدولة العثمانية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن قاعدة اختيار العاصمة في الإسلام قامت على أساس وجود المناصرين والأعوان فيها، وهذا ما استنه الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم.

الهوامش

(١) أنظر: ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص ١٤-١٩ , ٦٥-٨١, ١٩٠-٢٢٠ , ٢٢٩-٢٣٠ وغيرها.

(٢) أنظر: الحموي، معجم البلدان، ٥/ ١٦٨-١٧٠ .

(٣) الأسراء، ١٧/ ١ .

(٤) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س، ص٦٩ .

(٥) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س. ، ص٧٠.

(٦) أنظر: أبن تميم المقدسي، م.س، ص٢١٢ .

(٧) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب، ٣/ ١١٨ .

(٨) أنظر: النجم الغزّي، لطف السمر، ٢/ ٦٥٧-٦٥٨؛ أحمد العلاف، دمشق في مطلع القرن، ص١٢٩ .

(٩) أنظر: النجم الغزّي، لطف السمر، ٢/ ٥١٠ .

(١٠) أنظر: النجم الغزّي، م. ن، ٢/ ٦٥٧؛ أحمد العلاف، م.س، ص١٢٩ .

(١١) أنظر: محمود غوشة، العمارة العثمانية في القدس، ص٨٣ .

(١٢) أنظر: العارف، المفصل، ص٢٦٥؛ العسلي، مكانة القدس، ص٣١-٣٢ .

(١٣) أنظر: العارف، م. س. ، ص٣٠٩ .

(١٤) أنظر: العسلي، م. س. ، ص٣٢ .

(١٥) أنظر: العسلي، مكانة القدس. ، ص٤٠-٤١ .

(١٦) أنظر: العارف، تاريخ الحرم، ص٢٧؛ العارف، المفصل، ص٦٦؛ العسلي، بيت المقدس في كتب الرحلات، ص٣٩٥ .

(١٧) أنظر: العارف، تاريخ الحرم، ص٢٧؛ المفصل، ص٦٦؛ العسلي، بيت المقدس في كتب الرحلات، ص٣٩٥ .

(١٨) العاصمي، سمط النجوم العوالي، ٤/ ٩٥ .

(١٩) أنظر: العارف، المفصل، ص٢٦٦؛ العسلي، مكانة القدس، ص٤٠ .

(٢٠) أنظر: العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٣٥

(٢١) أنظر: العارف، تاريخ الحرم، ص٧٧-٧٨؛ رائف نجم وزملاؤه، كنوز القدس، ص٣٥١ .

(٢٢) أنظر: العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٣٥؛ معاهد العلم، ص٣٦١-٣٦٢ .

(٢٣) أنظر: العسلي، أجدادنا في، ص٨٩ .

(٢٤) المحبي، خلاصة الأثر، ١/ ٢٨٩ .

(٢٥) أنظر: العسلي، مكانة القدس، ص٣٧ .

(٢٦) أنظر: محمد غوشة، م.س. ، ص٩١ .

(٢٧) أنظر: فهمي الأنصاري، المسجد القيمري، ص٧٥ .

(٢٨) أنظر : رائف نجم وزملاؤه، م. س. ، ص٣٣٩.

(٢٩) أنظر : محمد غوشة، م. س. ، ص٨٩.

(٣٠) أنظر : العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص٢١٣-٢١٤؛ كامل العسلي، أجدادنا في، ص٢٥٥-٢٥٧ ؛ محمد غوشة، م. س. ، ص٨٩.

(٣١) أنظر : العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص٢١٣-٢١٤؛ كامل العسلي، أجدادنا في، ص٢٢٥-٢٥٧.

(٣٢) أنظر : العارف، المفصل، ص٥٠٠ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص٣٤٠ ٣٤١.

(٣٣) أنظر : محمد غوشة، م. س، ص٨٨.

(٣٤) أنظر : محمد غوشة، م. س. ، ص٩١.

(٣٥) أنظر : محمد غوشة، م. س. ، ص٤١.

(٣٦) أنظر : محمد غوشة، م. س. ، ص٩٢.

(٣٧) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص٣٦٦.

(٣٨) أنظر : كامل العسلي، م. ، ن، ص٢١٩.

(٣٩) أنظر : العسلي، م. ن. ، ص٢٤٢-٢٤٧.

(٤٠) أنظر : محمد غوشة، م. س. ، ص٩١.

(٤١) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص١٤٦-١٤٨.

(٤٢) أنظر : العسلي، م. ن، ص٢٣٥-٢٣٧.

(٤٣) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص١٤٨.

(٤٤) أنظر : العسلي، م. ن. ، ص١٩٩.

(٤٥) أنظر : العارف، المفصل، ص٢٥٣.

(٤٦) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص١٤٨.

(٤٧) أنظر : العسلي، م. ن. ، ص١٢٤.

(٤٨) أنظر : العسلي، أجدادنا في، ص٨٣-٨٤و٢٠٢؛ معاهد العلم، ص٣٢٥.

(٤٩) أنظر : السجل الشرعي رقم ٦٠ ص٧؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٧٩.

(٥٠) أنظر : العارف، المفصل، ص٢٤٨؛ العسلي، معاهد العلم، ص٢٣٦.

(٥١) أنظر : ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٨/ ١٢٩؛ النجم الغزّي، الكواكب، ١/ ٢٣٢.

(٥٢) أنظر : ابن العماد الحنبلي، م. س. ، ٨/ ٣٦٦.

(٥٣) أنظر : ابن العماد الحنبلي، م. س. ، ٨/ ٢٧٢؛ النجم الغزي، الكواكب، ٢/ ٧٦.

(٥٤) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص٨٩.

(٥٥) أنظر : السجل الشرعي رقم ٦٣ ص٩٢؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٠٢.

(٥٦) أنظر : العسلي، م. ن، ص١١١.

(٥٧) أنظر السجل الشرعي رقم ٥٢٢ ص١٤؛ العارف، المفصل، ص٢٤٦؛ العسلي، معاهد العلم،

ص١١٥ .

(٥٨) أنظر : السجل الشرعي رقم ٥٦ ص٥٨٩ ، وسجل رقم ٥٢٢ ص٣١ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص١٢٣ , ، ١٣٣ و١٢٨ , ١٣٣ .

(٥٩) أنظر : السجل الشرعي رقم ٤٤ ص٥٠٠ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص١٤٨ .

(٦٠) أنظر : المحبي ، م . س ، ١/ ٤٨٩ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص١٥٠ .

(٦١) أنظر : السجل الشرعي رقم ٤٤ص٥٠٠ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص١٦٩ , ١٧١ .

(٦٢) أنظر : السجل الشرعي رقم ٦٠ ص٧ ؛ البوريني ، تراجم الأعيان ، ٢/ ١٢٧ ؛ المحبي ، م . س . ، ١/ ٤٨١ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص١٧٩-١٨٠ .

(٦٣) أنظر : السجل الشرعي ٤٤ص٥٠٠ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص١٩١ .

(٦٤) أنظر : السجل الشرعي ٥٦ص٦٠٤ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص١٩٩ .

(٦٥) أنظر : العسلي ، أجدادنا في ، ص٨٣-٨٦و ص٢٠٢ ؛ معاهد العلم ، ص٣٢٥ .

(٦٦) أنظر : العسلي ، معاهد العلم ، ص٢٠٤ .

(٦٧) أنظر : العارف ، المفصل ، ص٢٤٨ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص٢١٢ .

(٦٨) أنظر : العسلي ، م . ن . ، ص٢١٥-٢١٦ .

(٦٩) أنظر : العسلي ، م . ن . ، ص٢٣٤ .

(٧٠) أنظر : العسلي ، م . ن . ، ص٢٤٤-٢٤٥ .

(٧١) أنظر : العسلي ، م . ن ، ص٢٥٠ .

(٧٢) أنظر : العارف ، المفصل ، ص٢٤٤ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص٢٥٦ .

(٧٣) أنظر : العارف ، م . س . ؛ ٢٥٣ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص٢٦٣-٢٦٤ .

(٧٤) أنظر : البوريني ، م . س . ، ص٢٦٦-٢٦٧ .

(٧٥) أنظر : البوريني ، م . س . ، ٢/ ١٢٧ ؛ النجم الغزي ، الكواكب ، ٢/ ١٠٢ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص٢٧٠ .

(٧٦) أنظر : العسلي ، م . ن . ، ص٢٧٢ .

(٧٧) أنظر : العسلي ، م . ن ، ص٢٨٩ .

(٧٨) أنظر : العسلي ، م . ن ، ص٢٨٩ .

(٧٩) أنظر : العارف ، المفصل ، ص١٧٩ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص٢٩٧ .

(٨٠) أنظر : العارف ، م . س . ، ص٢٦٧ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص٣١٣ .

(٨١) أنظر : العسلي ، م . ن ، ص٣٢٠ .

(٨٢) أنظر : العسلي ، م . ن ، ص٣٢٠ .

(٨٣) أنظر : العسلي ، م . ن ، ص٣٢٤ .

(٨٤) أنظر : العارف ، المفصل ، ص٥٠٠ ؛ العسلي ، معاهد العلم ، ص٣٣٩-٣٤١ .

(٨٥) أنظر: العسلي، م.ن، ص٣٤٣.
(٨٦) أنظر: العسلي، م.ن، ص٣٥٦.
(٨٧) أنظر: العسلي، م.ن، ص٣٦٢.
(٨٨) أنظر: العسلي، م.ن، ص٣٦١-٣٦٢.
(٨٩) أنظر: العسلي، م.ن، ص٣٠٦-٣٠٧.
(٩٠) أنظر: المحبي، م.س.، ١/ ١٥٦.
(٩١) أنظر: المحبي، م.س.، ٤/ ٧٨-٧٩.
(٩٢) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب، ٣/ ١٢٠.
(٩٣) أنظر: المحبي، م.س.، ٣/ ٣٥٦.
(٩٤) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س، ص١٩٩-٢٠٥.
(٩٥) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س.، ص١٩٢و٢٠٧و٢٢٣.
(٩٦) أنظر: الحموي، م.س.، ٥/ ١٦٧.
(٩٧) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س.، ص١٩٦-١٩٨و٢١١-٢١٤.
(٩٨) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س.، ص٢١١-٢١٢.
(٩٩) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب، ٢/ ٢١٤.
(١٠٠) أنظر: النجم الغزّي، م.ن.، ٣/ ٩٦.
(١٠١) أنظر: الخفاجي، ريحانة الألبا، ٢/ ٥٢؛ المحبي، م.س.، ٣/ ١٨٣.
(١٠٢) أنظر: النجم الغزّي، لطف السمر، ٢/ ٩٧٤.
(١٠٣) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب، ٢/ ٣٥.
(١٠٤) الطالوي، سانحات دمى القصر، ١/ ٣٢٢-٣٢٣.
(١٠٥) أنظر: البوريني م.س.، ١/ ٤٣.
(١٠٦) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب، ٢/ ٣٥.
(١٠٧) أنظر: النجم الغزّي، م.ن.، ٣/ ٧٠.
(١٠٨) أنظر: الخفاجي، م.س.، ٢/ ٥٢؛ المحبي، م.س.، ٣/ ١٨٣.
(١٠٩) النازعات، ٧٩/ ١٣و١٤.
(١١٠) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س، ص٧٣-٧٨.
(١١١) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س.، ص٢١٩.
(١١٢) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س.، ص٢٤٧.
(١١٣) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س.، ص٢٤٩.
(١١٤) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س.، ص٤٦-٢٤٩؛ مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ٢٦٥؛ العسلي، أجدادنا في، ص٣٣.

(١١٥) أنظر : العسلي، م.ن.، ص٢٤-٢٨ .
(١١٦) أنظر : العسلي، م.ن.، ٢١٢ , ٢٣١-٢٣٣ .
(١١٧) أنظر : ابن العماد الحنبلي، م.س.، ٨/ ٢٣٠ ؛ النجم الغزّي، الكواكب، ٢/ ١١ ؛ العسلي، أجدادنا في، ص٢٣٧ .
(١١٨) أنظر : ابن العماد الحنبلي، م.س.، ٨/ ٣٥٥ ؛ النجم الغزّي، الكواكب، ٣/ ١٢٠ ؛ العسلي، أجدادنا في، ص١٨٦ .
(١١٩) أنظر : المحبي، م.س، ١/ ٤٨٩ ؛ العسلي، أجدادنا في، ص١٧٥ .
(١٢٠) أنظر : الخالدي، تاريخ الأمير فخر الدين، ص٢ ؛ المحبي، م.س.، ١/ ٢٩٧ ؛ البغدادي، ايضاح المكنون، ١/ ١٢٠ , ٢/ ١٠٠ ؛ هدية العارفين، ٥/ ١٥١ ؛ الزركلي، الأعلام، ١/ ٢٣٦ ؛ كحالة، معجم المؤلفين، ١/ ٣٠٣ ؛ العسلي، أجدادنا في، ص٨٣ .
(١٢١) أنظر : النجم الغزّي، الكواكب، ٣/ ١٢٧-١٢٨ ؛ المحبي، م.س.، ٣/ ٣٢٢و٣٢٥، إسماعيل البغدادي، ايضاح المكنون، ١/ ٣٨٨ ؛ العسلي، القدس في أدب الرحلات، ص٨٢ .
(١٢٢) أنظر : المقّري، نفح الطيب، ٢/ ٧٦٧ ؛ ابن بسام، الذخيرة، ١/ ١١١-١١٦ .
(١٢٣) أنظر : العسلي، مخطوطات فضائل بيت المقدس، ص٦٥ .
(١٢٤) أنظر : العسلي، م.ن.، ص١٠٥-١١٢ .
(١٢٥)
(١٢٦) أنظر : العسلي، م.ن.، ص١١٢-١١٣ .
(١٢٧) أنظر : العسلي، م.ن.، ص١١٣-١١٤ .
(١٢٨) الحموي، م.س.، ٥/ ١٧١ .
(١٢٩) أنظر : الطالوي، م.س.، ١/ ٣٢٢-٣٢٣ ؛ النابلسي، الحضرة الأنسية، ص١٥٩-١٦٠ .
(١٣٠) الطالوي، م.س.، ١/ ٣٢٣-٣٢٤ .
(١٣١) أنظر : الخفاجي، م.س.، ١/ ٣١ ؛ النابلسي، م.س.، ص١٥٩-١٦٠ .
(١٣٢) العجلوني، كشف الخفاء، ٢/ ٢١٨ .
(١٣٣) العجلوني، م.ن.، ٢/ ٢١٨ .
(١٣٤) أنظر : حمد يوسف، بيت المقدس، ص٤٨-٤٩ .
(١٣٥) أنظر : وليد الخالدي، القدس من العهدة العمرية، ص٢١٦ .
(١٣٦) أنظر : العارف، المسيحية في القدس، ص٢٤ .
(١٣٧) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص٥٧ .
(١٣٨) أنظر : محمد فريد بيك، تاريخ الدولة العليّة، ص٧٨ .
(١٣٩) أنظر : يوسف آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان، ص٧٧ .
(١٤٠) أنظر : النجم الغزّي، الكواكب، ٣/ ١١٧-١١٨ ؛ المحبي، م.س.، ٣/ ٣٢٤-٣٢٥ .

(١٤١) أنظر : محسن يوسف، ديموغرافية القدس، ص٤٤ .

(١٤٢) أنظر : العارف، المفصل، ص٣١٤؛ العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٣٧ .

(١٤٣) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص٨٩-٩٠ .

(١٤٤) أنظر : يوسف آصاف، م.س.، ص٨٠ .

(١٤٥) العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٤١ .

(١٤٦) أنظر : العسلي، م.ن.، ص٢٤٢ .

المصادر والمراجع

أ) المصادر

(١) القرآن الكريم.
(٢) ابن بسام، علي بن بسام (ت٥٤٢/ ١١٤٧)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق لطفي عبد البديع، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٥، المجلد الأول.
(٣) ابن تميم المقدسي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت٧٦٥/ ١٣٦١)، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الخطيمي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل، ١٤١٥/ ١٩٩٤.
(٤) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩/ ١٦٧٨)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت: دار الآفاق الجديدة، لا. ت.، ٨ أجزاء، (ذخائر التراث العربي).
(٥) البوريني، الحسن بن محمد (ت١٠٢٤/ ١٦١٥)، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق صلاح الدين المنجّد، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٥٩و١٩٦٣، جزءان.
(٦) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧/ ١٦٥٦)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استانبول: المطبعة البهية، ١٣٦٠هـ.
(٧) الخالدي، أحمد بن محمد (ت١٠٣٤/ ١٦٢٤)، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، تحقيق أسد رستم وزميله، الطبعة الثانية، لبنان: المكتبة البوليسية، ١٩٨٥،
(مجموعة الدكتور أسد رستم؛ ٥).
(٨) الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٦٩/ ١٦٥٨)، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٦/ ١٩٦٧، جزءان.
(٩) الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨/ ١٣٧٤)، سير أعلام النبلاء، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، لا. ت.، الجزء الثاني.
(١٠) سجلات المحكمة الشرعية في القدس ذات الأرقام: ٤٤, ٥٢, ٥٦, ٦٠, ٦٣, ٥٢٢.
(١١) الطالوي، درويش محمد بن أحمد(ت١٠١٤/ ١٦٠٥)، سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر، تحقيق محمد مرسي الخولي، الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣/ ١٩٨٤، جزءان.
(١٢) العاصمي، عبد الملك بن حسين (ت١١١١/ ١٦٩٩)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل عبد الموجود وزميله، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩/ ١٩٩٨، الجزء الرابع.
(١٣) العجلوني، إسماعيل بن محمّد (ت١١٦٢/ ١٧٤٨)، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٥١هـ، الجزء الثاني.
(١٤) الغزّي، نجم الدين محمد بن محمد (ت١٠٦١/ ١٦٥١)،
أ. الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل جبور، الطبعة الثانية، بيروت: دار

الآفاق الجديدة، ١٩٧٩ .

ب|. لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، تحقيق محمود الشيخ، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨١-١٩٨٢، (إحياء التراث ؛ ٥٧).

(١٥) الفرزدق، همام بن غالب (ت١١٤/ ٧٣٣)، الديوان، بيروت: دار صادر، ١٣٨٦/ ١٩٦٦، المجلد٢.

(١٦) مجير الدين الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد (ت٩٢٧/ ١٥٢٠)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عمان: مكتبة المحتسب، ١٩٧٣ .

(١٧) المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت١١١١/ ١٦٩٩)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة: المطبعة الوهبية، ١٢٨٤هـ، ٤ أجزاء.

(١٨) المقّري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١ / ١٦٣١)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨، الجزء الأول.

(١٩) النابلسي، عبد الغني (ت١١٤٣/ ١٧٣٠)، الحضرة الأنسيّة في الرحلة القدسيّة، تحقيق أكرم العُلبي، الطبعة الأولى، بيروت: المصادر، ١٤١١/ ١٩٩٠ .

(٢٠) ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦/ ١٢٢٨)، معجم البلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، لا.ت، الجزء الخامس.

ب. المراجع

(١) آصاف (يوسف)، تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، الطبعة الثالثة، دمشق: دار البصائر، ١٤٠٥/ ١٩٨٥ .

(٢) الأنصاري (فهمي)، المسجد القيمري: سلسلة مساجد بيت المقدس داخل السور، إشراف حمد عبد الله، ١٤١٦/ ١٩٩٥، (دائرة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، قسم إحياء التراث الإسلامي، نشرة ١٤، القسم الخامس).

(٣) البغدادي (إسماعيل باشا)

أ|. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الطبعة الثالثة [أوفست]، طهران: ١٣٨٧/ ١٩٦٧، جزءان.

ب|. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، الطبعة الثالثة[أوفست] طهران: ١٣٨٧/ ١٩٦٧، جزءان.

(٤) الخالدي (وليد)، القدس من العهدة العمرية إلى قمة كامب ديفيد الثانية، مجلة الدارة، السنة السادسة والعشرون، العدد الرابع، شوال ١٤٢١، ص٢١٥-٢٤٤.

(٥) الزركلي (خير الدين)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

والمستشرقين، الطبعة الخامسة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠، الجزء الأول.
(٦) العارف (عارف)
أ. تاريخ الحرم القدسي، الطبعة الأولى، القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، ١٣٦٦/ ١٩٤٧.
ب. تاريخ قبة الأقصى المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس، الطبعة الأولى، القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، ١٩٥٥.
ج. المسيحية في القدس، الطبعة الأولى، القدس: مطبعة دير الروم الأرثوذكس، ١٣٧٠/ ١٩٥١.
د. المفصل في تاريخ القدس، الطبعة الأولى، القدس: مطبعة العارف، ١٣٨٠/ ١٩٦١، الجزء الأول.
(٧) العسلي (كامل)
أ. أجدادنا في ثرى بيت المقدس: دراسة أثرية تاريخية لمقابر القدس وتربها وإثبات بأسماء الأعيان المدفونين فيها، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٤٠٢/ ١٩٨١، (مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية؛ ٥).
ب. بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عمان: ١٩٩١.
ج. القدس في التاريخ: إشراف همام غصيب، عمان: مطبعة الجامعة الأردنية، ١٤١٣/ ١٩٩٢، (منشورات الجامعة الأردنية، ٢/ ٩٢).
د. مخطوطات فضائل بيت المقدس: دراسة وبيبلوغرافيا، الطبعة الأولى، عمان: منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨١.
هـ. معاهد العلم في بيت المقدس، عمان: جمعية المطابع التعاونية، ١٩٨١، (نشر بدعم من الجامعة الأردنية).
و. مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، الطبعة الثانية، عمان: ١٩٨١.
(٨) غوشة (محمد)، العمارة العثمانية في القدس: ص٨٣-٩٥، يوم القدس، الندوة الرابعة، تحرير خليل عودة وزميله، نابلس: كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، ١٩٩٨.
(٩) العلاف (أحمد حلمي)، دمشق في مطلع القرن العشرين، تحقيق علي نعيسة، دمشق. وزارة الثقافة، ١٣٩٦/١٩٧٦.
(١٠) فريد بيك (محمد)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت: دار الجليل، ١٣٩٧/ ١٩٧٧.
(١١) كحالة (عمر رضا)، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، لا.ت.، الجزء الأول.
(١٢) نجم (رائف وزملاؤه)، كنوز القدس، عمان: منظمة المدن العربية، ١٩٨٣.
(١٣) يوسف (حمد أحمد)، بيت المقدس، الطبعة الأولى، القدس: دائرة الأوقاف الإسلامية، ١٩٨٢.
(١٤) يوسف (محسن)، ديموغرافية القدس في نهاية القرن الحادي عشر مع رؤية للواقع الحالي، ص٩-٥٤، في كامل العسلي، العلامة المقدسي وقضية القدس: أبحاث ندوة دراسية خاصة في القدس، الطبعة الأولى، القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، ١٩٩٦.